الديمقراطية الاجتماعية فى اسكندناوه

اسكندناوه هى الأقطار الثلاثة التى تقع فى الشمال الغربى من أوربا ، وهى دنمركا ونروج وأسوج . وهى جميعها تمت الى سلالة واحدة وتتكلم بلهجات أو لغات متقاربة . والمزاج القومى واحد فى الجميع . والروح الديمقراطى هو روح قومى كما هو روح حكومى . ومع أن هذه الأقطار الثلاثة لا تعرف الاستعمار ولم تنزع قط الى القيصرية فإنها تمتاز برقى اقتصادى تغبطها عليه كثير من الأمم الأخرى .

وفى الأقطار الاسكندناوية أغنياء كما هو الشأن فى جميع الأمم كما فيها فقراء . ولكن الفرق بين الفقر والغنى ليس كبيرا ، كما أن الفقير يجد أنواعا كثيرة من المساعدات الحكومية التى تجعله يتحمل الشيخوخة أو التعطل أو اليتم أو المرض دون أن تفترسه هذه الكوارث أو تلجئه الى الاجرام .

وسلوك الأغنياء فى كل أمة يدل على تماسك المجتمع وعلى الاحترام المتبادل بين طبقاته . فالغنى فى أسوج أو نروج لا يجد فى غناه ميزة اجتماعية تجعله لا يختلط بالفقراء . وكثير من الفتيات فى الطبقات العالية يخدمن فى مطابخ المطاعم لكى يتعلمن الطبخ . ويكثر هذا الطلب على المطاعم الكبرى حتى يضطر صاحب المطعم الى أن يرفض كثيرا من المتقدمات اليه . وهذه العادة تجعل الطبخ متقنا فى البيوت الكبيرة . فان ربة البيت عند ما تولم وليمة لبعض الممتازين من الضيوف تعمد فى نفسها الى المطبخ وترأس العمل . ولذلك تبدو مائدة الأغنياء — بل ومائدة الفقراء — متقنة مطهمة أنيقة ، لأن ربة البيت قد تعلمت قبل الزواج طرق الطبخ وتهيئة المائدة فى مطعم شهير عرفت فيه كيف تطبخ الألوان الشهية والحلوى الأنيقة .

وكثير من الأغنياء يشتغلون بالزراعة فى هذه الأقطار وهم لا يؤجرون الأرض ويعيشون فى المدن بما يجنونه من الايجار ، بل يمارسون الزراعة بأنفسهم . وهم يستعدون لهذه المهمة بالالتحاق بالمدارس الزراعية ، والرجال والنساء سواء فى هذا . وبعض هذه الأقطار يشرط على الراغب فى الالتحاق باحدى المدارس الزراعية أن يكون قد أمضى على الأقل سنتين فى الخدمة الزراعية فى بعض الضياع لا فرق فى ذلك بين الرجل والمرأة ، ولذلك تجد بين الفلاحين فتاة من أسرة غنية تعمل فى حلب البقر أو حصاد القمح أو صنع الجبن . وهى تعمل فى الأغلب بالمجان لكى تحصل على الاختبار الذى يؤهلها للالتحاق بالمدرسة الزراعية والانتفاع بعلومها .

والأسرة الاسكندناوية تخدم نفسها فى الأغلب ، ولذلك يقل الخدم إلا فى البيوت الغنية المترفة . وربة الدار فى الطبقات المتوسطة تشـــترى الطعام كل يوم وتقوم بطبخه ويساعدها على ذلك أنها قليلة التناسل . بل ان هذه القلة فى التناسل قد دعت الكثيرين من المفكرين الى اعانة العائلات وجعل الأجور قائمة على عدد الأبناء .

ومن العادات الديمقراطية المألوفة فى اسوج ونروج ودنمركا أن أعضاء الأسرة يقعدون يوم عيد الميلاد إلى مائدة واحدة مع الخدم يأكلون معا ويشتركون فى الطعام والشراب الفاخرين اللذين يخصصان للعيد .

وتمتاز دنمركا بالرقى الزراعى الذى ليس له نظير فى العالم . فإنها استغلت أرضها وجعلت من صنع الجبن وتربية الخنـازير والعجول والدجاج صناعة تظل لهـا الملايين من الجنيهات كل عام . فانهـا تموّن أوربا باللحم والبيض والقشدة والجبن . وهى قـد جعلت الجمعيات التعاونية أساسا للاستغلال الزراعى ، وهذه الجمعيات قد رفعت مستوى الانتاج كمًّا ونوعا ، فان البيض فى دنمركا مثلا يباع بالوزن وليس بالعدد وذلك لكى لا يربى لإنتاج البيض غير الدجاج الممتاز بضخامة بيضه . وبهذه الطريقة وأمثالها تغزو دنمركا الأسواق وتتفوق .

وتزداد العناية بالزراعة أرضا وعمالا عاما بعد آخر . فإن الحكومة قد أنشأت المدارس العالية للفلاحين الدنمركيين يلتحقون بها كل عام نحو شهرين أو ثلاثة أشهر فى الفترة التى يقل فيها العمل الزراعى فتلقى عليهم الدروس والمحاضرات فى الشؤون الزراعية وغير الزراعية لتنويرهم . لأن الفلاح المستنير يسعد بحياته ويزيد إنتاجه أكثر من الفلاح الجاهل .

وقد أصبحت أسوج مثلا للإصلاح الاجتماعى حتى كثرت المؤلفات فى وصفها والدعوة الى الاقتداء بها . فإنها مثلا تجيز بيع الخمور ولكن بشرط أن تشترك هى مساهمة فى صناعتها وتجارتها . واشتراكها يحول دون الغش لهذه المشروبات كما أنها تعين الموظفين فى الحانات يبيعون للجمهور ويؤكدون تنفيذ الاصلاحات ، فلا يبيعون لقاصر . ولا يعطون أحدا أكثر مما يتحمل ، بل هم لا يبيعون الزجاجات المقفلة إلا بتذاكر لكى تشرب فى البيت ولا يجوز لعائلة أن تحصل على أكثر من حقها فى التذاكر .

ومع أن الحكومة الاسوجية تشترك فى صنع الخمور وبيعها فانهـا أولا لا تبيع غير الخمور التى يقل فيها مقدار الكحول . وهى أيضا تخصص مقدارا مما تربح من بيع الخمور لكى تنفق منه على نشر الدعاية ضد الخمور ... فمن كل كأس يشرب بها الشارب يذهب عشر الثمن فى الاعلان بأن الخمور مضرة ومؤذية وسيئة ...

وجميع هـذه الأقطار الثلاثة قد أخذت بالكثير أو القليل من الاصلاحات الاجتماعية المألوفة الآن فى أوربا وأمريكا وهى ما يسمى " التأمين الاجتماعى " أى أداء إعانة للمرضى وإعانة للمتعطل ومرتب لمن بلغوا الخامسة والستين من العمر مع بناء المنازل وبيعها بالتقسيط للعائلات . ولكن يجب الا ننسى أن هـذه الحكومات لا تقوم وحدها بهذه الاصلاحات بل هى تعتمد على الجمعيات الحرة فى أغلب الأحيان . وهـذه الجمعيات هى هيئات متطوعة تساعدها الحكومات . وقد تستقل بالعمل بعد ذلك . ولكن الشعب هو صاحب الفضل والابتكار فى جميع الحالات . وهذا هو ما يجب ألا ننساه .

وقد وجدت أسوج ان أداء الأجور للعمال عينا بدلا من النقد يعود بأعظم الفوائد الاقتصادية والصحية . فإن المصنع يشترى الأطعمة الضرورية بالجملة ويوزعها على عماله سدادا لأجورهم أو لبعضها . والعمال ينتفعون بهذا النظام لأنهم يحصلون على الأطعمة بثمن منخفض هو ثمن الجملة الذى اشترى به صاحب المصنع وليس ثمن التجزئة الذى يشترون هم به .

وكثير من المدارس فى هـذه الأقطار الثلاثة يقدم وجبة بالمجان أو بثمن زهيد هى وجبة الفطور فى أغلب الأحيان . وقد أصبح "فطور أوسلو" من الكلمات المألوفة فى الاصلاح الاجتماعى . فان عاصمة نروج " أوسلو " قد عنيت للتلاميذ فطورا حاويا للعناصر الغذائية المهمة التى تعوضهم من النقص الغذائى فى البيت . وأعظم ما يمتاز به هذا الفطور هو اللبن والبيض والفواكه .